جامعة المسيلة قسم التاريخ

دعامة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر

التخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

المقياس: الاستشراق وتاريخ الوطن العربي المعاصر

الأستاذ/ د.عبد القادر خليفي

المحاضرة الأولى: مفهوم الاستشراق

تمهيد/

لقد كان الاستشراق ولا يزال يحتل مكانة هامة في الحياة الفكرية والثقافية العربية الإسلامية ذلك أن هذه الحركة، قد طاولت مجالات معرفية متنوعة، وكان محورها الإنسان الشرقي بكافة إبعاده الدينية والاثنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، حيث قدمت له توصيفات وقوالب وتحليلات تراوحت بين التمثيل المحاكي للواقع، لدى نفر من المستشرقين، وغرقت في الإساءة والمبالغة والتشويه عند قطاع عريض من هؤلاء.

ومن ثمة، كانت ظاهرة الاستشراق بمدلولاتها وأطروحاتها واحدة من صور الصراع بين الغرب والعالم العربي والإسلامي على مستوى الفكر، وذهب أحد الباحثين إلى القول: " إن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع "، ومن هذا المنطلق يأتي سؤال المفهوم.

1/ مفهوم الاستشراق لغة: كلمة الاستشراق كلمة اصطلاحية لا يراد بها مدلولها اللغوي، من حيث التوجه نحو الشرق، فيقال استشرق أي اتجه إلى الشرق وانتسب إليه، ولذلك فكلمة استشراق مشتقة من مادة " شرق " ، يقال شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت.

تحيل الكلمة إلى الشرق، أي المعنى أو المدلول الجغرافي، وهذا غير مؤسس لأن تحديد الشرق جغرافيا يختلف من جهة إلى أخرى تبعا للجهة المحدد منها، فالشرق بالنسبة للفرنسي أو الألماني، هو غير الشرق بالنسبة للصيني والياباني، وهكذا نقف على مدلول أولي للاستشراق، فهو طلب الشرق الذي هو آسيا وإفريقيا، من قبل الغرب الذي هو أوروبا وأمريكا.

وإذا كان الاستشراق علما ونشاطا بحثيا وفكريا غربيا بالأساس، فإن العلماء الغربيين قد اختلفوا اختلافا كبيرا في تصورهم لمفهوم الشرق، فالفرنسيون والبريطانيون مثلا، يرون أن الشرق هو ذلك الإقليم الجغرافي والتجمع البشري المجاور لأوربا، والذي كان ولا يزال يرتبط بالغرب ارتباطا وثيقا وكان يؤلف أقرب وأغنى وأقدم مستعمرات الغرب، وكان في بعض مراحل تاريخه منافسا وغريما ثقافيا له.

2/ **مفهوم الاستشراق اصطلاحا:** يفيد تعبير استشرق في المفهوم الاصطلاحي طلب علوم الشرق واتجاه للتخصص في معرفتها، والمستشرق هو المتخصص في علوم الشرق وحضارته وآثاره وفنونه وقد عرف قاموس أكسفورد الجديد معنى المستشرق بأنه:" من تبحّر في لغات الشرق وآدابه " وكانت اللفظة تطلق في بداية عهدها على من تخصص في فقه اللغات الشرقية.

ويرى الباحث المصري محمود حمدي زقزوق (1933 – 2020م) ، أن الاستشراق يحمل معنى عاما وآخر خاص، فالأول يحيل إلى الدراسات الغربية المهتمة بالشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه، وأما الثاني، فيشير إلى الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي، عندما يطلق لفظ مستشرق واستشراق، وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين.

ويضف مسهبا في التعريف، فالاستشراق، هو إذا محاولة التعرف على الشرق في إطار عام يتناول شرقا واسعا لا تحده الديانات أو القوميات، أو في إطار خاص يكون الإسلام محوره والعروبة أداته ويمكن أن يكون الاستشراق وسيلة أيضا من وسائل السيطرة والتحكم في الشرق، وهي نظرة تأثرت إلى حد كبير بمجريات الأحداث العالمية في فترة ما بعد القرن التاسع عشر ، وهي فترة ازدهار الاستشراق لا بداياته.

يعرف إدوارد سعيد (1935 – 2003م) الاستشراق في كتابه الذائع الصيت الموسوم : الاستشراق بشكل موسع بأنه: " أسلوب في الفكر قائم على تمييز

أنطولوجي (وجودي) وإبستيمولوجي (معرفي) بين الشرق والغرب "، فهو يشير إلى طريقة تفكير قائمة على ثنائية متضادة لحضارتين متمايزتين ومختلفتين جوهريا.

ويورد مفهوما آخر يرتبط بالاستشراق، بدءا من أواخر القرن 18م فصاعدا حيث يذكر: " يمكن تناول الاستشراق وتحليله باعتباره مؤسسة متحدة للتعامل مع الشرق، بإصدار تصريحات عنه أو وصفه أو تعليمه، أو تنظيمه أو حكمه، وباختصار الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق، وإعادة بنائه وامتلاك سلطة عليه "، وعلى ذلك، يشير إدوارد سعيد، إلى نصوص ومؤسسات وصور وتخيلات ومواقف، خلق الأوربيون- ولاحقا الأمريكيون- من خلالها وخلّدوا صورة أو تمثيلا معينا للشرق، وهو تمثيل ضعيف الصلة بما هي عليه فعلا تلك الأجزاء.

ويرى الباحث السوري محمد فاروق النبهان (1940- حي 2020م)، بأن الاستشراق في مفهومه الاصطلاحي الضيق يعني " اهتمام العلماء الغربيين بالدراسات الإسلامية والعربية، ومنهج هؤلاء العلماء ومدارسهم واتجاهاتهم ومقاصدهم"، والاستشراق مرتبط كل الارتباط بالموروث التاريخي للشخصية الغربية، في نظرتها للحضارة العربية والإسلامية، وهو موروث مثقل بالتراكمات النفسية، ومشاعر ضاغطة مسيطرة على حركة الفرد، مؤثرة في السلوكيات والمواقف.

وبرأي الباحث بنسالم حميش،" فإن الاستشراق في السياق النظري يتبدى بامتياز كنشاط بحثي ومعرفي حول الآخر أي العالم العربي والإسلامي، نشاط ظهرت إرهاصاته الأولى طوال القرون الوسطى واستمر عبر محطات وتفاوتات حتى عهدنا الحاضر، فراكم في موضوعه أدبيات ضخمة، هي طبعا مختلفة الغايات والمقاصد، متفاوتة الأهمية والقيمة من حيث المنهجية والدراية العلمية ".

ويعرّف الأديب المصري أحمد حسن الزيات (1885- 1968م) الاستشراق كالآتي: " يراد بالاستشراق اليوم، دراسة الغربيين لتاريخ الشرق، وأممه، ولغاته، وآدابه، وعلومه، وعاداته ومعتقداته وأساطيره، ولكنه في العصور الوسيطة، كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لصلتها بالعلم إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية

والعلم كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح ".

يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي (1905 – 1973م) عن المستشرقين وأصنافهم: "إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية...فهناك طبقة المادحين لهذه الحضارة، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها ".

3/المصطلح بين الاستمرارية والإلغاء: بالنظر إلى الحساسيات المتزايدة تجاه استخدام مصطلح استشراق ومستشرق، فقد قرر المستشرقون المجتمعون في مؤتمر باريس للاستشراق عام 1973م بمناسبة مرور قرن على بداية عقد المستشرقين لمؤتمراتهم العالمية، وهي الفعاليات التي كانت تلتئم بشكل دوري كل ثلاث أو خمس سنوات، التوقف عن استخدام المصطلح، بسبب اعتراض عدد من العلماء الشرقيين عليه.

وهكذا صوّت المشاركون في المؤتمر المذكور على إلغاء التسمية، مع استمرار المؤتمر بنفس وتيرته، ولكن تحت عنوان "المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا"، ثم استبدل بعد مؤتمرين إلى "المؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والشمال إفريقية ".